

## الفولكلور التارقي في الأفلام الوثائقية

## فيلم الصيام الأزرق أنموذجا

## Tuareg folklore in documentary films - The blue fast film as a model -

أ.د. منصور خضر

إيكوساني عبد القادر\*

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر

theatredupoint@yahoo.fr

[aikaussani@yahoo.fr](mailto:aikaussani@yahoo.fr)

تاريخ القبول: 17 - 06 - 2022

تاريخ الإرسال: 15-05-2022م

**ملخص:**

تتناول هذه الدراسة تحليلا لفيلم الوثائقي "الصيام الأزرق" حيث يتناول في مضمونه تحضيرات صيام رمضان، كاختيار المكان والزمن المناسب لذلك، من نصب الخيم ويصحب ذلك ثلة من العادات والتقاليد عند التوارق تعرضها المخرجة في عدة أماكن وأزمنة بولاية تمنراست على شكل أشرطة وثائقية متنوعة، وقبل ثبوت الهلال بالطرق التقليدية حتى رؤيته، والاحتفال بالصيام الأول لأبنائهم ولحظة بلوغهم، وتوشيحهم أحسن اللباس ليصبح زيهم الرسمي حتى الممات، وشدة تمسكهم بمرضان وبروحانيته يطلقون الأبناء عليه، والقيام بمجموعة من الألعاب تلعب ليلا ونهارا لعدم وجود وسائل الترفيه في جو عائلي، والقيام بحفلات فولكلورية ك "إمزاد" و "التيندي"، مروراً بقيام التوارق بختان أبنائهم في ليالي الشهر الفضيل في الولاية وباقي البلديات والقرى، وإضافة إلى ذلك رصد مأكولات في صورة "القمح المحروق" ("زمبوا")، ومشروبات على رأسها "الشاي" تقليدية عند التوارق، وكذا المساعدة للصيام والمضرة به، وتخلل الفيلم عدة أشياء تعرفنا ب "الرجل الأزرق" كيف يعيش ويتعايش مع الحياة ومقاومته للجوع والعطش رغم قساوة الطبيعة وحرارة الجو.

الكلمات المفتاحية: الفيلم الوثائقي، الفولكلور، التوارق، الرقص، الصورة.

**Abstract:**

This study deals with an analysis of the documentary film "The Blue Fasting", where it deals with the preparations for Ramadan fasting, such as choosing the appropriate place and time for that, including setting up tents, in addition to many traditions of the Tuareg, which the director presented in several places and times in the Wilaya of

Tamanghassat in the form of various documentaries. And before The factuality of the crescent of Ramadan by traditional methods until its sighting, celebrating the first fasting for their children and the moment of puberty, dress them in the best clothes that are going to be their official uniforms until death, and their strong adherence to Ramadan and its spirituality they give its name to their children, and playing a set of games that are played day and night for the lack of entertainment in a family atmosphere, and performing folkloric parties such as "Imzad" and "Tendi", passing through the circumcision that the Tuareg do to their sons on the nights of the holy month, in the wilaya and in the other municipalities and villages. In addition to that, showing food images in the form of "burnt wheat" ("zimbu"), and drinks especially "tea" are traditional for the Tuareg, as well as good to fasting and harmful ones to it. 'The Blue Man' was monitored in the film as well: How does he live and coexist with life and his resistance against hunger and thirst despite the cruelty of nature and the hot weather?

**Key words:** Documentary film; folklore; Tuareg; dance; image.

#### مقدمة:

من المعلوم أن وراء كل صورة حكاية حتى أن لكل شعب فولكلور خاص به زاخر من عادات وتقاليد وفنون الأداء ونخص بالذكر المجتمع التاريخي الذي أزهقته الشفاهية بالرغم من غنى المنطقة بالتراث المحلي ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا على السواء، لكن سرعان ما تفتن الكتاب والمؤرخون إلى تدوين ذلك في الكتب و الصحف والمجلات، وكذا توثيقه على شكل فيديوهات وريبورتاجات وبورتريهات وصور وتسجيلات بعد مقابلات مع أهم المفكرين التوارق الذين نستطيع القول أنهم قلة ويعدون على الأصابع وهم متشبعون بالتراث الثقافي المحلي الذي توارثوه عن الأجداد.

و"الفولكلور التاريخي" تجاوز كل ذلك بفضل دارسين في التراث الشعبي، والدراسات الثقافية والأنثروبولوجية، بالإضافة إلى تناول كل ذلك على المسرح، وعن طريق الرسم مروراً إلى السينما على شكل أفلام وثائقية. كيف لا والمسرح والسينما يحققان المتعة والفرجة للجمهور لوجود تقنيات لكليهما على الخشبة أو في التلفزيون أو عن طريق الفيديو على حد السواء من منطقة لأخرى بتنوع العادات والتقاليد والأعراف عند المجتمع الجزائري عموماً والتاريخي خصوصاً بقبائله ومناطقه، رغم الثقافة الواحدة. تجسد ذلك في توثيق فيلم

"الصيام الأزرق" الذي يرصد لنا تحضيرات صيام رمضان، كاختيار المكان والزمن المناسب لذلك، من نصب الخيم ويصحب ذلك ثلة من العادات والتقاليد عند التوارق تعرضها المخرجة "فتيحة بوروينة" في عدة أماكن وأزمنة بولاية تمنراست على شكل أشرطة وثائقية متنوعة.

وتخلل الفيلم عدة أشياء تعرفنا ب "الرجل الأزرق" كيف يعيش ويتعايش مع الحياة ومقاومته للجوع والعطش رغم قساوة الطبيعة وحرارة الجو، هذا كله من أجل قداسة الصيام، واستعرض فيه مجموعة من الباحثين والباحثات في مجال "الفولكلور التارقي) التراث الشعبي التارقي)" منهم من لهم خبرة وتجارب فيه وآخرون نقلوه من المشاهدة إلى الكتابة، لتهيئ المخرجة الفيلم بأغاني شعبية محلية ورقصات فولكلورية كآلة القيثارة ورقصة "تاكوبا"، والهدف المرجوا من دراسة الفيلم الوثائقي "الصيام الأزرق" الحفاظ على مستقبل "الفولكلور التارقي" (التراث التارقي) من عاداته وتقاليده. ومن هنا نطرح التساؤلات الآتية: ماهية الفيلم الوثائقي؟ كيف يتم توثيق الفولكلور في السينما؟ أين تجلت خصوصية الفولكلور التارقي من خلال فيلم "الصيام الأزرق"؟

## 1. ماهية الفيلم الوثائقي:

"إن الفيلم الوثائقي يروي قصة عن الحياة الواقعية، قصة تدعي المصدقية. والنقاش بشأن كيفية تحقيق ذلك بصدق ونزاهة لا ينتهي أبدا في ظل وجود إجابات متعددة. لقد عرف الفيلم الوثائقي أكثر من مرة على مدار الزمن، من صنّاعه ومشاهديه، ولا شك أن المشاهدين يصوغون معنى أي فيلم من خلال الجمع بين المعرفة والاهتمام بالعالم وبين الشكل الذي يصور به المخرج هذا العالم"<sup>1</sup>.

"الفيلم الوثائقي بوصفه مجموعة من القرارات تُتخذ بشأن كيفية تجسيد الواقع من خلال الأدوات المتاحة لمخرج الفيلم؛ من ضمن هذه الأدوات «الصوت» (الصوت المحيطي، الموسيقى التصويرية، المؤثرات الصوتية الخاصة، الحوار، السرد): «الصور» (مادة مصورة

<sup>1</sup> - باتريشأوفرهايدي،(2013م)، الفيلم الوثائقي مقدمة قصيرة جدا، ط1، تر: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص10.

في موقع التصوير، صور تاريخية مجسدة في صور فوتوغرافية، أو لقطات فيديو، أو أشياء مادية)، المؤثرات الخاصة الصوتية والمرئية، بما في ذلك الرسوم المتحركة؛ «الإيقاع» (مدة المشاهد، عدد اللقطات، بنية النص أو الحكى)<sup>2</sup>.

## 2. الفولكلور والتوارق:

يعد النسق الاجتماعي الذي هو مجموعة الأدوار ذات العلاقة المتداخلة، تلك الأدوار التي تحدد أو تشخص بواسطة المعايير المشتركة بين المجتمع و "يتفق معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين إلى أن دراسة النسق الأيكولوجي تمثل مدخلا أساسيا لدراسة البناء الاجتماعي وتحليله إلى مكوناته وذلك بهدف التعرف على العلاقات التي تربط بين العوامل الجغرافية والطبيعية وبقية الأنساق التي تدخل في بناء المجتمع... ذلك أن الأيكولوجيا الاجتماعية تنطلق أساسا من دراسة التفاعل بين الإنسان والبيئة من ناحية، وبين النظم والأنساق الاجتماعية المختلفة من ناحية أخرى"<sup>3</sup>، إن هذه العناصر التي تتفاعل مع بعضها، والتي يحقق كل منها وظيفة في المنظومة العامة للنسق الاجتماعي، كما يمكننا أن نطلق على كل من وحدات السلوك نسق.

لاشك أن الاتجاه السائد لدى الأنثروبولوجيين نحو دراسة المجتمعات والثقافات الأخرى فيه تسليم بإمكانية التوصل لفهم عميق ودقيق لتلك الثقافات، وقبل الخوض في ثقافة الطوارق سنتطرق لأصلهم وكيف نُسبت التسمية لهم، حيث تباينت واختلفت الآراء حول أصل التوارق، لكننا أجملنا عدة آراء لما لها من تقارب في الطرح حولهم ف"هذه الطبقة من صنهاجة هم المثلثون المواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية أبعدها في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها فأصحروا عن الأرياف... وعاشوا في تلك البلاد وكثروا

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص17.

<sup>3</sup> - أحمد أبو زيد، (1965م)، البناء الاجتماعي: المفاهيم، ج1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،

وتعددت قبائلهم من كذاهولمتونة، فمسوفة، فوتركبه، فناوكا، فزغاوه ثم لمطه أخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبيلة طرابلس وبرقة"<sup>4</sup>.  
"يرى رالف لنتون R.Linton بظانته حينما يعترف المجتمع بالعشيرة نجد وسائل الإبقاء على صلة القرابة ماثلة أمام الفرد، والتشديد على أهميتها، فالوحدة العشائرية يكون لها عادة اسم خاص، وكثيرا ما تتخذ لنفسها رمزا كحيوان أو شيء معين، وكثيرا ما يحدث أن يتخذ أعضاء الوحدة العشائرية شعارات مميزة من لباس أو زخرف، وهناك مظاهر أخرى تعزز وحدة العشيرة كالاجتماعات العشائرية التي تعقد من أن الآخر، والمراسم الاحتفالية الخاصة"<sup>5</sup>.

ورغم تعدد الآراء في أصلهم، يوجد إجماع أنهم شعب عرف بالثلثم حيث "كان التوارق يعرفون من بين هذه القبائل في العصور الوسطى باسم "اسجلماس" ولما انتشر الإسلام واللغة العربية ترجمت هذه الكلمة بمقابلها بالعربية (المثلثون) فأصبحت مصطلحا يطلق على قبائل البربر في الصحراء الكبرى وذلك للزومهم عادة التلثم ووضع العمائم على رؤوسهم"<sup>6</sup>، والثلثم عند التوارق تعدد الحديث فيه وسنحاول أن نورد بعضا منها ويبقى المنطقي منها الأقرب للتصديق أو الأخذ به.

وعند قبائل التوارق بمختلف مجموعاتهم التقليدية يمثل ارتداء اللثام المظهر العام بين الذكور البالغين، فالشاب منذ السادسة عشر أو السابعة عشر يبدأ في ارتداء اللثام وحمل السيف، أي يصبح رجلا كامل العضوية في قبيلته، وغالبا ما يكون ذلك بمناسبة بداية صيام الشاب لشهر رمضان عند التوارق، مما يفسر مدى عمق تأثير الثقافة العربية الإسلامية في الثقافة التقليدية للتوارق ويرى البعض أن ارتداء اللثام يتأخر عند بعض

<sup>4</sup> - عبد الرحمن بن خلدون. (دت). تاريخ ابن خلدون، المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، ص170-171.

<sup>5</sup> - لنتون رالف. (1964م)، دراسة الإنسان، تر:عبد الملك الناشف. (دط)، المكتبة العصرية، بيروت، ص265.

<sup>6</sup> - محمد سعيد القشاط، (1989م)، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، ط2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ص27.

القبائل إلى سن الخامس والعشرين كما هو الحال عند بعض القبائل في النيجر.<sup>7</sup> أما المستشرق هنري لوت Henri Lhote \*فالتلثم عند التوارق "سهولة التخفي أثناء الحروب وعند القيام بعمليات الغزو على القبائل الأخرى وعلى القوافل".<sup>8</sup>

أما كلود بلانجرنون Claude Blanguernon \* فيرى أن التلثم يتم " لتجنب رمال الصحراء وأشعة الشمس المحرقة"<sup>9</sup>.

أما عن أصل تسمية التوارق "يحتمل أن تكون هذه الكلمة قد اشتقت من اسم الوادي الذي تسكن فيه قبائل المثلثين...وهو وادي (درعة) الواقع جنوبي مراكش الذي يسمى بالطارقية (تاركا) ومعناه الوادي أو مجرى النهر والنسبة إلى (تاركا) (تارك) وجمعه توارك فأخذت هذه الكلمة من الكتابات الأوروبية التي نقلتها من المراجع العربية في غرب أفريقيا فكتبت باللغة العربية على شكلها الحالي التوارق بإبدال التاء طاء أما قبائل التوارق فإنها تسمي نفسها "إمازغن" ومعنى إمازغن كما يرويها محمد عبد الرحمن: "...نسبة إلى جدهم (أمازغن) بن حام بن نوح"<sup>10</sup>.

<sup>7</sup> -ينظر: سليجمان (س.ج)، (1956م)، السلالات البشرية في إفريقيا، تر: يوسف خليل، مكتبة العالم العربي، القاهرة. ص131.

\*هنري لوت دكتوراه في الاثنروبولوجيا، مكلف بالبحوث في المركز الوطني للبحث العلمي وملحق بمتحف الإنسان بباريس ، له عدة كتب وعشرات البحوث العلمية عن ثقافة التوارق.

<sup>8</sup> - Lhote Henri. Les touareg du hoggar.paris.1955.p326/328.

\* -عاش بلونجرنون مع التوارق سنوات عديدة كمدرس ،ويعتبر أول من أنشأ مدرسة متنقلة مع بدو التوارق سنة 1947 وله عدة كتب عن الهقار والتوارق.

<sup>9</sup> -lehoggar. paris.arthaud.1965.Blanguernon Claud.p103

<sup>10</sup> -المرجع السابق ص.27-28.

### 3. قراءة في فيلم الصيام الأزرق:

يقول أحمد المنذر " تشرع النساء في نصب الخيمة قبل موعد الإفطار الجو أقل حرارة والسيدة " تين امغوان" تشرف على كل كبيرة وصغيرة، لتكون الخيمة في مستوى الإحتفال بصيام "بوهان" و"تمرولت" لأول مرة فللخيمة " تاخيامت" أهمية كبيرة في التراث التارقي رغم تقرب التوارق من المدن الكبرى بحثا عن الرعاية الصحية والتعليم، " وتقام هذه الأعمال فرحا بقدوم "الصيام" واستقباله، والاحتفال بالصيام الأول لأبناء التوارق، حتى يبقى ذلك راسخا في الأذهان لأجيال.

فها هو الباحث " مولود فرتوني" \* متحدثا عن الصيام عند التوارق بقوله: " هناك عائلات كبرى تجدها في بيوتها الموجودة في الأرياف أي البيت القديم الأول ما يعرف ب " الزريبة " أو " الخيمة " ... إلخ، والبيوت المسطحة بسعف النخيل التي تعطي برودة تامة، ولكن غالبا ما تفضل بعض العائلات البيوت العصرية المكيفة منها والجديدة، وهذا للراحة الدائمة، خاصة في ظروف الحرارة الشديدة" (فيلم الصيام الأزرق).<sup>11</sup>

ويشير الصحفي إلى أن : " فاطمة الزهراء مختاري" \*\* واحدة من أهم الناشطات الجمعوية في الهقار فهي عند شهر رمضان تنشر بيتها في المدينة باتجاه الصحراء فلرمضان في الخيمة نكهة خاصة، " فعن حديثها عن دخول المدينة تقول: " رغم دخولي للمدينة منذ تسع سنوات، ولكن إلى حد الآن لم ألق الراحة لأن المكوث طويلا في البيوت يسبب لي ضيق التنفس، " وكأن بها تشير إلى أن الصحراء أكثر راحة من المدينة، سواء داخل الخيم أم خارجها.

وبالنسبة للسيدة " فاطمة الزهراء مختاري" " فإن الخيمة أنواع عند قبائل التوارق مضيئة إلى أن خيمنا مصنوعة أساسا من جلد الكباش الذي نقوم بخياطته بأنفسنا وليس بجلد الجمال، كما أن جلد الكباش بعد الخياطة من قبل النساء لصنع الخيمة يدهن

\* مولود فرتوني: باحث في التراث الشعبي وتاريخ الصحراء الكبرى ومستشار ثقافي رئيس مصلحة الفنون والآداب بمديرية الثقافة لولاية تمنغست .

<sup>11</sup> -رابط فيلم الصيام الأزرق:

(s.d). Récupéré sur <https://www.youtube.com/watch?v=mLrb5Fi-N88&t=1714s>

\*\* فاطمة الزهراء مختاري: واحدة من أهم الناشطات الجمعوية في الهقار.

ويصبغ وتوضع عليه الخميرة ليصبح جميل وقوي " ليوضع في النهاية كخيمة ". وذلك يعود إلى سمك جلد الجمال وغلظته على عكس جلد الكباش الرقيق لسهولة العمل في الخياطة والصباغة. هذا ما نجده كثيرا كمشغل هام عند النساء التي تمثل لبنة وكحرفة لهن.

ففي قرية " تيزيت " المعزولة حسب المتحدث " لم يبق عن موعد الإفطار إلا نصف ساعة فالكل يسارع لجلب الأكل في الصواني ففي هذا المكان الخالي المعزول، حيث لا يوجد بيوت الطوب والجنان، يغدو صوت "أمسلاغ" ضروريا رفع أذان المغرب. هذا ما هو متداول في المجتمع الجزائري عامة، ليس عند التوارق فقط، بدءا بتحضيرات الإفطار وانتظار رفع الأذان، وخاصة في مكان معزول يحمل معه نقاء الأجواء بالمنطقة.

" فأتثناء الإفطار لا يمكن تصوير الإنسان التارقي وهو يأكل، وبالأخص المرأة التارقية إنها خاصية مرتبطة بالحياء " الشك " بالمفهوم التارقي، فالرجل التارقي الذي يتلثم لحجب فمه عندما يتحدث كيف له أن يسمح بتصويره عندما يأكل، " هذه العادة قديمة قدم الإنسان التارقي، وترجع أساسا إلى المحافظة على التراث التارقي، المتوارث جيلا بعد جيل، وليس تفادي التصوير لهما أثناء الأكل وتغطية فمه باللثام فقط، بل ويمنع أيضا دخول النساء على الرجال أثناء تناولهم الطعام والعكس صحيح. خاصة في الأعراس والمناسبات الكبرى.



" يفرغ كبار عائلة "إيداير" وصغارها من الأكل والصلاة ويتأهبون للاحتفال بصيام "بوهان" و " تمرولت " لأول مرة، صينية الشاي سيدة المقام ومعها " إمزاد"\*\*\* و "تيندي"\*\*\*\* ورائحة النعناع تعبق المكان والنسوة بمختلف أعمارهن يتزين بأجمل الكحل



وهن يتباين بشتى أنواع تسغنس والحلي الفضية محلية الصنع، مع بعض الزغاريت التابعة للاحتفال،" يحيلنا هذا إلى أن عائلة "إيداير" مثل باقي عائلات التوارق فرحين بصيام أبنائهم لأول مرة بإقامة حفل ويتقدمه احتساء الشاي الذي يبقى الشراب الرسمي للشعب التارقي، مصحوبا بطبوع فولكلورية كالعزف على آلة "الإمزاد"، و"التيندي" كونهم وجهان لعملة واحدة، تعزفها النساء وبحضور الرجال والنسوة

بمختلف أعمارهم، متزينين بأجمل اللباس والحلي المحلي الصنع، إضافة إلى الزغاريد.

" وها هو كبير عائلة "تيزيت" الشيخ "إيداير شيكات" سيوشح الحفيد "بوهان" بالشاش، وهي عمامة نيلية اللون لا يلف "الرجل الأزرق" رأسه بها إلا بعد أول سنة يصوم فيها رمضان، وهي عادة سن البلوغ والكل ينتظر هذه اللحظة أي تجمل "الرجل الأزرق" بالشاش الذي سوف لن يتخلى عنه إلى الممات. لأن من عادات التوارق أثناء ارتداء الشاش بأنواعه من الوهلة الأولى كبير القبيلة أو العائلة هو الذي يوشح الطفل في أول صيامه ليس

\*\*\*إمزاد: آلة موسيقية مقدسة عند توارقالأهقار، تقليدية محدبة تلعبها النساء، ويمجدها الرجال، وخاصة الطبقة العليا من المجتمع، حيث تعزف من قبل المرأة التارقية، ويحرم على الرجل لمس هذه الآلة. المصدر: موقع الإذاعة الجزائرية/مفتاح بخوش.

\*\*\*\*تيندي: ويجلس فيها الرجال والنساء على شكل دائري بالتصفيق وترديد القصائد، حيث النساء من الداخل والرجال من الخارج أي على حافة الدائرة، وعادة تقام في الليل وقد يمتد سهرهم إلى آخر الليل.

بشاش نيلى اللون فقط بل حتى الأبيض، ويرتبط لبس الشاش " للرجل الأزرق " بسن البلوغ ويتعلق به حتى النهاية (فيلم الصيام الأزرق).

" التارقي ولو يتنقل الى كبريات ولايات الشمال أو العواصم داخل بلاده وخارجها، وها هو محمد إداير يتحدث عن لبس العمامة لأول مرة للطفل الذي وصل سن البلوغ بقوله: كما هو معروف أن طفل وصل لسن 18 فهو مسؤول عن نفسه من تلك اللحظة فذلك هدف أسعى لارتداء العمامة "الشاش" عند التوارق، فأول صيام له لا بد له من لبس العمامة "الشاش" ولا يزعجه من تلك اللحظة". كما يهدف لبس الشاش الى التعرف على هوية المنطقة "التوارق"، في أثناء التنقل بين الولايات الكبرى، والسن الخاص بالبلوغ عند التوارق هو سن ال 18 فهنا يجبر على تحمل المسؤولية عن نفسه، فهذا هو الغرض من ارتداء العمامة عند التوارق.

فالطفلة في أثناء البلوغ هي الأخرى لها حصة الأسد لتتحدث "فاطمة الزهراء مختاري" عن صيامها لأول مرة قائلة: " في البداية الطفلة عندنا قبل بلوغها لا يضر إن لم تلبس "تسغنس" وتكتفي بالعباءة وثياب عادية، لكونها صغيرة تجري وتلعب، ولم تصل السن المسموح بالصيام بعد، ولكن بمجرد وصولها سن الصيام لا بد من ستر نفسها مباشرة، مثلها مثل المرأة"، هذا كل ما تعلق بالطفلة قبل بلوغها وأثناء بلوغها، ولكن عند حديثها عن الطفل أثناء بلوغه تقول عكس ما تقدمنا به سابقا بقرية "تيزيت" بقولها: " الطفل عندنا لا نلبسه العمامة "الشاش" مبكرا إلا إذا رأينا خروج اللحية من ذقنه في تلك اللحظة نسميه رجلا ويرتدي العمامة "الشاش" مع أن هذا كله متعلق بالبلوغ أيضا عند الطفل التارقي عموما." (فيلم الصيام الأزرق)

ويمكن أن نستشف من خلال الفيلم التساؤل التالي: لماذا يبجل التوارق اليوم الأول من صيام أبنائهم سواء كانوا ذكورا أم إناثا؟

ف"ابراهيم أورزيق" باحث في "التراث التارقي" يجيب عن السؤال في قوله: " تاريخيا كل الزعماء "الأمينوكالين" الذين حكموا الأهقار عندهم علاقات وطيدة بالدين من "موسى أقر أمستان" وبالخصوص "الحاج أحمد البكري" إلى "باي أقر أخموك"، " كل هؤلاء زعماء

التوارق وحكموا الهقار جيلا بعد جيل متمسكين بالدين خصوصا، وكذا الصيام حسب عاداتهم وتقاليدهم.

والباحث "مولود فرتوني" يعطينا إضافة حول الصيام عند التوارق بقوله: "التوارق لديهم مفهومهم الخاص للصيام لارتباطهم برمضان وبروحانية هذا الشهر حتى اختيار أسماء الأبناء يسمون الإبن "أزوم" أي الصوم، والبنت "نزومت" يعني الصائمة، وهذا مرتبط أيضا عندهم بالثقافة الإسلامية، إذ تجد الكثير من أسماءهم مرتبطة بهذا الشهر حتى أنهم يسمونه بالاسم العربي رمضان." (فيلم الصيام الأزرق) ليس ارتباط التوارق بالصيام فقط وتسمية أبنائهم بشهر رمضان فقط، بل ويرتبط أيضا بتسمية أولادهم تسمية الشهر الفضيل، سواء بالتارقية والعربية بولادة الطفل بحلول رمضان أم وسطه، وتعدى ذلك تسمية التوارق لأبنائهم ب "أمود" للطفل، و "تمودت" للطفلة أي العيد، وهذا عند ولادتهم في أيام العيد.

ويضيف الصحفي قائلا: "نعود لقرية "تيزيت" حيث تركنا أفراد عائلة إدايير يحتفلون بأول صيام ل "بوهان" و"تامرولت"، لقد انتهى الاحتفال، لكن الشباب والأطفال خاصة اجتمعوا حول لعبة يتوارثونها أبا عن جد، لم تغنم عنها الهواتف المحمولة أو أجهزة الكمبيوتر، في قرية "تيطيت" لا وجود للإنترنت بتاتا، فهذا الاحتفال متوارث عبر الأجيال كما استغلوا الوقت باللعب لعدم وجود التغطية، وكذا الأنترنت لوجود الجبال فيما جعل الشبكة لا تصل إليها.

كما تحدث "إدايير عبد المالك" عن الألعاب التي تمارس عند التوارق عموما في ليالي رمضان قائلا: "هذه اللعبة تسمى "إسيغن"، وهي لعبة في ليلة رمضان يلعبها كل أفراد العائلة بما فيهم الأبناء والبنات في جماعة للسهر وفيها 12 خانة في كلتا الجهتين وفيها مفتاح اللعبة يطلق عليها "سيقا"، وتدوم اللعبة إلى وقت متأخر من الليل إلى وقت السحور أحيانا، وهناك ألعاب أخرى تلعب في نفس الشهر مثل "كراض" و"تيداس"



ويشير الفيلم "بعيدا عن قرية "تيزيت" نلقى عائلة "شناني" من كبريات العائلات التاريخية في الهقار تحتفل هي الأخرى بختان أحد أحفادها بمنطقة "تمراست"، وختان الأطفال في رمضان دليل أيضا على تقديس التوارق للشهر الكريم". ويردف أيضا إلى القول: "تقرر عائلة "شذاب" ختان طفلها "حميد" و"نصر الدين" ليلة السابع والعشرين 27 أي ليلة القدر، لقد توجه الأب إلى عيادة "إدريس حاجي" ب"حي أنكوف" وسط مدينة "تمراست" (فيلم الصيام الأزرق). من خلال هذا وما تطرقنا إليه سابقا نشير إلى أن التاريخ لا يقدر رمضان بالاحتفال بأول صيام لأبنائه ووصوله إلى سن البلوغ فقط، بل ويقدره بختان الأبناء عند عامة التوارق ولختان أبنائهم وهم صغار ليس في المستشفيات فقط، بل حتى في الساحات الكبرى قرب المنازل، وأحيانا من يقوم بالختان غير مختص ولكن ذو خبرة في ذلك فلا يقتصر الختان إلا على رمضان، وإنما حتى في باقي الشهور كذلك.

ويضيف أيضا "يبدو أن علاقة التوارق بقساوة الطبيعة بحكم عيشهم الطويل في عمق الصحراء جعلهم يتحملون الجوع والعطش، وقد نجدهم أقدر الناس على الصيام." (فيلم الصيام الأزرق) هذا راجع إلى صبرهم وقوة التحمل للصوم، وحتى في باقي الشهور كذلك، وتعایشهم مع الطبيعة.

ويعلق "فرتوني مولود" على ذلك: " هناك فلسفة خاصة يستخدمها التارقي في الأكل والمتمثلة في عدم الإكثار منه كثيرا، وهذه هي فلسفة "إموهاغ" وهي متعلقة به أساسا، لذلك فإن شهر الصيام يساعده كثيرا لأنه يعلم أن فترة الأكل تكون ليلا، مع العلم أن باقي النهار يقضيه التارقي مسافرا حتى وصول وقت الإفطار من أكل وشرب، كما أن في صومه له ارتباط بالشاي أكثر من ارتباطه بالأكل" (فيلم الصيام الأزرق) لأن التارقي في بعض الأحيان يقضي النهار في الرعي والزراعة وهو صائم متحديا قساوة الجو.

ويشير الفيلم كذلك بعد أن: "انتقل إلى قرية " أتكور" 80 كيلومتر عن "تمنراست" والتقى بالأخوين "أمروال محمد" و" أفلانأمروال(مرشد سياحي متقاعد)" ينحدران من قبيلة " دق أغالي" هدي القبيلة دير شرحها ويشغلان في مجال التداوي بالأعشاب والفلاحة والسياحة". حتى وإن كانت اشتغالهم في هذه المجالات المختلفة، إلا أنهم يعملون خارج المدينة ليكون الجبل مرتعا لهم لجمع أعشاب عدة للتداوي والفلاحة، وكذا استغلال المناطق السياحية.

وها هو "محمد أمروال" (رئيس جمعية إبري أي موسم الحصاد أ أكسابالتارقية) يتحدث عن الأعشاب بتعدد طرق استعمالها، التي لها علاقة بالتوارق في أن "علاقة التارقي بهذه الأعشاب خاصة بحلول شهر رمضان أو الأشهر الأخرى، وهناك أعشاب حسب عاداتنا مضرة ولا تشرب في رمضان" (فيلم الصيام الأزرق). وبالرغم من ذلك إلا أن بعض الأعشاب حسب الإنسان التارقي وما توارثه عن الأجداد منها الحارة والباردة على الجسد.

كما يرى " محمد أمروال" أن: " بعض الأعشاب الباردة تشرب في رمضان مثل عشبة "تافلنست" التي تصدر حتى لدولة "النيجر" قديما، وتتم مقايضتها ب "البشنة" التي تنبت في الوديان أحيانا، كما أن خاصيتها مقاومة العطش وباردة في الصيف. شرح إضافة إلى أن عشبة "البشنة" وخلطها بالتمر والحليب تساعد على الصيام وتقاوم الجوع، وغالبا ما تأكل في أثناء السحور. ويضيف قائلا: " أن التوارق قديما لا يحرقون القمح، كونه مصدر رزقهم، وبعدها "القمح" أي "زيمبو" الذي يستعمل كحساء يفطر به الصائم، وله فائدة أكبر من القمح، إذ يعد الطبق الأول لدى التارقي في مائدة رمضان". كما أن "زيمبو" له نكهة خاصة عند التوارق إضافة بعض الأعشاب إليه ك "الوزواز" أي ""أينسيس"، وإضافة اللحم وكذا الشحم بكل أنواعه. والحساء أساسا يقي من البرد في فصل الشتاء.

ويستطرد الصحفي قائلا: "نتجه إلى قرية "تبيريرت" التابعة لدائرة تازروك على بعد 280 كلم جنوب "تمنراست" وندخل إلى بيت أحد أعيان قبيلة "إسقمارن". وهم موزعين عبر مناطق تمنراست وبعض الولايات كولاية إليزي مثلا.

وفي سياق آخر يشير الفيلم " والعجيب عند هؤلاء أن علاقتهم بالسماء بنجومها وقمرها وشمسها علاقة متميزة ونحن في القرن 21 يعتمدون على السماء في صيامهم وإفطارهم ". بالرغم من وجود كل الوسائل المتاحة للرصد والرؤية، إلا أن التاريخ بقي متمسكا بعاداته وتقاليده ومقتنعا بما هو موجود وقديم.

و ذكر "المسك أكريس" - أحد أعيان قبيلة إسقمارن - أنه: " لا يتم الصيام إلا برؤية الهلال، وذلك من خلال رؤيته من قبل رجال الدين اثنين أو ثلاث متخصصين في الرصد، وموثوقين عند عامة التوارق، كونهم السباقين في إخبارهم بثبوت هلال رمضان. حينذا لو كان إماما، وإن حدث العكس لا يتم الصيام إلا بثبوت هلال الشهر الكريم ". هذا لا يقتصر على التوارق فحسب، بل على الشعب الجزائري قاطبا.

ويتطرق " ألواسأحمادو " إلى أن: " الصيام برؤية الهلال والإفطار كذلك، إلا أن بعدنا عن ولاية تمنراست لا يضر بقدر ما يفيد، لأن أخبار الصوم والإفطار تصلنا منهم عن طريق التنقل بالجمال في ظرف ( ثلاثة أيام ) لانعدام وسائل الاتصال أو الهاتف المحمول، كما يشمل هذا كل بلديات تمنراست ليس تبريرت فقط ". كل هذه المعاناة تدل على إصرار الشعب التاريخي على الصيام رغم قطعه مسافات طويلة، وقلة وسائل التواصل.

ويشير "ألواس سليمان"- هو الآخر من قبيلة إسقمارن- إلى أن: "الهلال قبل الاستقلال وبعدها لا أحد يفطر إلا برؤيته، مثلا في وسط مدينة تمنراست فالتوارق لا يفطرون إلا برؤية الهلال أما تازروك وإدلس ... لا يملكون وسائل التواصل لا يفطرون إلا بالهلال، ورغم دخول الهاتف بعد فتح البلديات، إلا أن البعض منهم في المناطق البعيدة على البلديات والقرى متمسكين بعدم الإفطار إلا بثبوتهم". يحيلنا هذا إلى أن الصيام لا يتم إلا برؤية الهلال، حيث لا يقتصر ذلك على التوارق فحسب، وإنما الشعب الجزائري عموما.

تدخل "كرزيكة محمدلوغلوغ-أحد أعيان دائرة تازروك-" شهر شعبان سباق لشهر رمضان مما جعل توارق "تازروك" ينتظرون طلوع هلال الشهر الفضيل، مستغلين قدوم

رمضان بالعمل على نظام "الفقارات" بالإضافة إلى "حفر الآبار" بالجمال والأبقار، وذلك في مجموعات يعملون من الصباح الباكر إلى صلاة المغرب. هكذا على أن يصل "شهر الصيام"، ومنذ ذلك الحين يرى الناس ثبوت الهلال فرحين بقدمه ويشرعون في الصيام، وحتى يكملوا الفرحة يخبرون البدو الرحل بحلول رمضان". الشهر الفضيل ليس للصيام فقط، بل كذلك هو للعمل على أشغال عدة طيلة النهار حتى الإفطار، في حين عند ثبوت هلال رمضان يعم الفرح بقدمه، وذلك بمشاركة الفرحة فيما بينهم ومع البدو. ويقول الصحفي: "نغادر مدينة تمنراست ليلة ال 27 من رمضان احتفال جميل يجري بباحة دار الثقافة وسط المدينة، قصص البطولات تروى فرقا فولكلورية للتراث الشعبي بألبستها التقليدية الأصيلة كل يحكي التراث الشعبي التارقي على طريقته بالعزف والرقص والشعر" وتخلل الفيلم رقصة التاكوبا بأشكالها المختلفة في الأداء الحركي وتنوع إيقاعات موسيقية خاصة بها عن طريق راقصين يصل عددهم 6، وحسب الصحفي ينقل لنا نوع آخر من الفولكلور التارقي العريق ليشير إلى: "'لاله بادي" فنانة الهقار الأولى رفقة فرقتها للتراث التارقي يغنين ويعزفن الإمزاد ويضربن "التيندي"'". كما يمدحن النبي محمد صلى الله وسلم باللغة التارقية، ويصاحب الضرب على التيندي مجموعة من الزعاويد والتصفيق من قبلهن و كذا تنوع في اللباس التقليدي وتجهلن بالحلي المحلي .

وينهي الصحفي الفيلم بقوله: "شهر كامل قضيناه بين "توارق الهقار" توارق المدينة، وتوارق الفيافي، والواضح أمامنا أن اقتراب التوارق من المدينة له أثر كبير على عاداتهم وثقافتهم، لكن هل كانوا مضطرين لدخول المدن ". حسب الصحفي أشار إلى نقطة مهمة حول مستقبل التراث التارقي مفادها: "عكس المخاوف المعبر عنها من ضياع التراث التارقي بفعل العصرية يبدي آخرون اطمئنانا لافتا تجاه هذا الإرث ويقولون ألا خوف عليه" (فيلم الصيام الأزرق).

#### خاتمة:

في ختام هذا البحث الذي تناول في مجمله الحديث عن الفولكلور التارقي من خلال رصده في السينما وبالخصوص الفيلم الوثائقي "الصيام الأزرق"، الذي تضمن تنوعات

الفولكلور التارقي من حيث العادات والتقاليد وراثته، بدءا بتصوير الفيلم الوثائقي من قبل المخرجة "فتيحة بوروينة" الذي رصدت لنا كيفية الصيام عند التوارق، واحتفالاتهم بصيام أطفالهم في سن البلوغ، مروراً بتصوير بعض الألعاب الشعبية (إيسيفن، وكراد)، والموسيقى التارقية (تيندي، إيمزاد) والرقصات الفولكلورية (تاكوبا، الخ).

ومن خلال قراءتنا للفيلم توصلنا لجملة من النتائج يمكن حصرها في الآتي:

- تعد الأفلام الوثائقية حافظة للتراث والفولكلور من خلال نقله من طابع الشفوية الذي يهدده، حيث يعمل الفيلم على حفظه صورة وصوت.
- يعد الفولكلور مادة دسمة للسينما، خاصة الفولكلور التارقي المتعدد المواضيع الذي لم يأخذ قدراً كبيراً من اهتمام السينمائيين.
- رصد لنا فيلم "الصيام الأزرق" كيفية استقبال "قرية تيزيت" شهر رمضان، بدءاً من نصب الخيمة التي لها أهمية بالغة في تراث التوارق هروباً من المنازل، وذلك قبل الإفطار التي تشرف عليها سيدة القبيلة، فرحين بالصيام الأول لأبنائهم.
- الفيلم الوثائقي قليل عند التوارق لتصوير عاداتهم وتقاليدهم وتوثيقها راجع إلى بعد المنطقة ونقص آلات التصوير وقلة المتخصصين في المجال رغم زخم توارق تمارست بفولكلور متنوع.



المصادر والمراجع :

1- أحمد أبوزيد، (1965م)، البناء الاجتماعي: المفهومات، ج1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

2- عبد الرحمن بن خلدون، (دت)، تاريخ ابن خلدون، المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني.

3- محمد سعيد القشاش، (1989م)، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، ط2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء.

المراجع المترجمة:

4- باتريشأوفرهايدي، (2013م)، الفيلم الوثائقي مقدمة قصيرة جدا، ط1، تر: شيماء طه الريدي، ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

5- سليجمان (س. ج)، (1956م)، السلالات البشرية في إفريقيا، تر: يوسف خليل، مكتبة العالم العربي، القاهرة.

6- لنتون رالف، (1964م)، دراسة الإنسان، تر: عبد الملك الناشف، (د ط)، المكتبة العصرية، بيروت.

المراجع الأجنبية:

7- Lhote Henri. Les touareg du hoggar. paris. 1955. p326/328.

8- lehoggar. paris. arthaud. 1965. Blanguernon Claud. p103

